الحفظ
أهميته . عجائبه . طريقته . أسبابه

عبد القيوم السحيباني

مصدر هذه المادة:







بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على أفضـل الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن منزلة العلم لا تخفى، فهو من الشرف في المحل الأسمى، وله من الفضل الحظ الأوفى، والقدح المعلى.

والأدلة على فضله كثيرة، آيات كريمة، وأحاديـث شـريفة، وآثار موقوفة، وأقوال منقولة... لكن العلم لا يحصل إلا بـالحفظ، فمن حفظ المتون حاز الفنون، ومـن لم يحفـظ الأصـول حُـرم الوصول. فمنزلة الحفظ من العلم أرفع منزلة.

بل الحفظ شرط للعلم، والشرط ما يلزم من عدمه العـدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم.

ولما كان للحفظ هذه المكانة، وتلك الأهمية، كتبـت هـذه الوريقات حثا لنفسي وإخواني طلاب العلم على حفـظ العلـم، فأسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

وقد جعلت هذا البحث في فصول تحتها مباحـث، وإليـك التفصيل:

الفصل الأول: أهمية الحفظ.

الفصل الثاني: عجائب الحفظ.

المبحث الأول: عجائب في سرعة الحفظ.

المبحث الثاني: عجائب في قوة الحفظ.

المبحث الثالث: عجائب في كثرة المحفوظ.

الفصل الثالث: طريقة الحفظ.

الفصل الرابع: أسباب الحفظ.

الأول: الدعاء.

الثاني: ترك المعاصي.

الثالث: الاهتمام.

الرابع: التعود.

الخامس: العمل به.

السادس: اختيار الوقت المناسب.

السابع: الحفظ في الصغر.

الثامن: المراجعة.

هذا ما تيسر ذكره، وأسأل الله جل جلاله أن يوفقنا لحسن العمل، والجد في الطلب واستغلال الوقت.

الفصل الأول

أهميـــــة الحفـــــظ

حفظ العلم في الصدر، من الأهمية بمكان، وبدونـــه لا يمكـــن لطالب العلم مواصلة الدرب، فقدر الطالب في العلم قدر حفظه من نصوص الكتاب والسنة والمتون العلمية واستحضار أقوال الأئمـــة فكلما زاد حفظه ارتفع قدره.

فقد قيل: من حفظ المتون حاز الفنون. وقيـــل: مـــن حفـــظ الأصول ضمن الوصول.

والحفظ: أن يستظهر الكلام عن ظهر قلب، فيضبطه في صدره ويثبته، بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء.

يقال: حفظ القرآن، آي: وعاه عن ظهر قلب[1].

قال عبد الرحمن بن مهدي: الحفظ الإتقان[2].

سأل مهنا أحمد: ما الحفظ؟ قال: الإتقان هو الحفظ[3].

ولأهمية الحفظ، وعلو شأنه، أوصى بـــه العلمـــاء طلابهـــم، وأرشدوهم إليه، مبينين لهم أنه أنفع من مجرد جمع العلم في الدفاتر.

قال الأعمش: احفظوا ما جمعتم، فإن الذي يجمع ولا يحفـــظ كالرجل كان جالسًا على خوان يأخذ لقمةً لقمـــة فينبـــذها وراء

(١) المصباح المنير ص٥٥.
(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٣/٢).
(٣) الآداب الشرعية (١١٩/٢).

ظهره فمتى تراه يشبع؟![1].

قال القاسم بن خلاد: قيل: الاحتفاظ بما في صدر الرجل أولى من درس دفتره، وحرف تحفظه بقلبك أنفع لك من ألف حـــديث في دفاترك [2].

قال العسكري: إذا كان ما جمعته من العلم قليلاً وكان حفظًا كثرت المنفعة به، وإذا كان كثيرًا غير محفوظ قلت منفعته [3].

بل لأهمية الحفظ، وكبير قدره، عده بعض العلماء العلم، دون سواه مما حوته بطون الكتب.

قال عبد الرزاق بن همام: كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده علمًا [4]، وأنشد:

ولـــيس بعلـــم مـــا حـــوى القمطـــر
مـــا العلـــم إلا مـــا حـــواه الصـــدر [5]

والبيت للخليل[6]

قال هشام بن بشير: من لم يحفظ الحديث فلـــيس هـــو مـــن أصحاب الحديث، يجيء أحدهم بكتـــاب يحملـــه كأنـــه ســـجل مكاتب[7].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٤٨).
(٢) الجامع للخطيب (٢/٢٦٦).
(٣) الحث على طلب العلم ص٧٤.
(٤) الجامع للخطيب (٢/٢٥٠).
(٥) الحث على حفظ العلم لابن الجوزي ص٢٥-٢٦.
(٦) انظر: جامع بيان العلم ص١١٥.
(٧) الكامل لابن عدي (١/٩٥).

قال محمد بن يسير الأزدي:

إذا لم تكـــــن واعيًـــــا حافظًــــــا
فجمعـــــــك للكتـــــــب لا ينفـــــــع
أشـــــــاهد بـــــــالعي في مجلـــــــس
وعلمــــــي في البيــــــت مســــــتودع [(١)]

قال بعضهم:

اســــتودع العلـــــم قرطاسًـــــا فضــــيعه
بــــئس مســــتودع العلــــم القــــراطيس [(٢)]

قال ابن عبد البر: ومما ينسب إلى منصور الفقيه من قوله:

علمي معـــي حيـــث مـــا يممـــت أحملـــه
بطـــني وعـــاء لـــه لا بطـــن صـــندوق
إن كنت في البيت كان العلـــم فيـــه معـــي
أو كنت في السوق كان العلم في الســـوق [(٣)]

فائدة: هذان البيتان ذكرهما الخطيب ونسبهما لبشار [(٤)].

قال صديق بن حسن القنوجي: وينبغي أن يحفظ ما كتبه مـــن العلم، إذ العلم ما ثبت في الخواطر لا ما أودع في الدفاتر [(٥)].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٥١-٢٥٥).
(٢) جامع بيان العلم ص١١٦.
(٣) جامع بيان العلم ص١١٦.
(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٥٠)
(٥) أبجد العلوم لصديق حسن (١/٢٤٤).

ومما يبرز أهمية الحفظ، ويظهر كبير شأنه، ما قد يحصل للكتب من أمور تتلفها، فيفقد ما فيها من العلم، إذا لم يكـــن محفوظًـــا في الصدر.

قال بعضهم [١]:

عليـــك بـــالحفظ دون الجمـــع في كتـــب
فـــــإن للكتـــــب آفـــــات تفرقهـــــا
المـــــاء يغرقهـــــا، والنـــــار تحرقهـــــا
والفـــأر يخرقهـــا، واللـــص يســـرقها

وقد حدث هذا لبعض أهل العلم، تلفت كتبهم لسبب ما، أو ابتعدوا عنها، فرجعوا إلى المحفوظ في الصدر، ومن هؤلاء:

١- أبو عمرو بن العلا (ت١٥٤) كانت كتبه مـــلء بيـــت فاحترق، فكان جميع ما يؤخذ منه إلى آخر عمره من حفظه [٢].

٢- ابن أبي عاصم (ت٢٨٧) قيل: ذهبت كتبه بالبصـــرة، في فتنة الزنج، فأعاد من حفظه خمسين ألف حديث [٣].

٣- أبو بكر محمد بن عمر الجعابي (ت٣٥٥) يقول: دخلـــت الرقة وكان لي ثمة قمطران، فأنفذت غلامي إلى ذلك الرجل الذي كانت عنده الكتب، فرجع الغلام مغمومًا، فقال: ضاعت الكتب. فقلت: لا تغتم فإن فيها مائتي ألف حديث لا يشكل علـــي منـــها

(١) تحصين القبيح وتقبيح الحسن للثعالبي ص٨٤.
(٢) الحث على طلب العلم ص٧٤.
(٣) تذكرة الحفاظ (٦٤١/٢).

حديث لا إسنادًا ولا متنًا [(١)].

٤- أبو عبد الله عبد الرحمن بن أحمد الختلي (ت٣٣٥) دخل البصرة، وليس معه شيء من كتبه، فحدث شهورًا إلى أن لحقتــه كتبه فكان يقول: حدثت بخمسين ألف حديث من حفظي إلى أن لحقتني كتبي [(٢)].

٥- أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيري (ت٢٠٢) يقــول: لا أبالي أن يسرق مني كتاب سفيان أني أحفظه كله [(٣)].

الفصل الثاني
عجائب الحفظ

عجائب الحفظ كثيرة ومتنوعة، بعضها أعجب من بعــض، لا تكاد ترى عجيبة من عجائبه إلا وتسمع بأعجب منها، والعجائب في الحفظ متنوعة، فمنها:

عجائب في سرعة الحفظ، وعجائب في قوتــه، وعجائــب في كثرة المحفوظ.

---

(١) الحدائق لابن الجوزي (١/٢٧)، والحث على حفظ العلم ص٦١، والسير (١٦/٨٩).

(٢) الحث على حفظ العلم ص٤٥. وانظر: السير (١٥/٤٣٦).

(٣) تذكرة الحفاظ (١/٣٥٧).

ولقد ظهرت في الأمة الإسلامية نماذج كثيرة في كل نوع مـــن هذه الأنواع، لذا أفردت مبحثًا لكل نوع، أذكر فيها مـــا وقفـــت عليه من ذلك.

وليس المقصود حصر كل ما ورد في ذلك، لعدم إمكانه، وقلة فائدته، بل المقصود ذكر أمثلة، وهذا كاف لشحذ الهمم، وإيقـــاظ العزائم، لسلوك الطريق، والتحلي بالصـــبر، والاتصـــاف بالجـــد، واستغلال الوقت.

المبحث الأول: عجائب في سرعة الحفظ.

المبحث الثاني: عجائب في قوة الحفظ.

المبحث الثالث: عجائب في كثرة المحفوظ.

المبحث الأول: عجائب في سرعة الحفظ.

لقد سجل التاريخ الإسلامي أمثلـــة عجيبـــة لأعـــلام الأمـــة الإسلامية في سرعة الحفظ، وقد تنوعت مواهبهم في ذلك، فمنـــهم من يحفظ من أول مرة، فليس بحاجة إلى إعادة وتكرار، ومن أمثلة هؤلاء:

١- عامر بن شراحيل الشعبي (ت١٠٤):

قال الشعبي:

ما وضعت سوداء في بيضاء قط، ولا حدثني أحـــد بحـــديث فاحتجت إلي أن يعيده علي [(١)].

(١) الحث على طلب العلم ص٧١، ٧٢. والحث على حفظ العلم ص٤٩.

٢- قتادة بن دعامة السدوسي (ت١١٨):

قال قتادة: ما قلت لمحدث – قط -: اعد علي، ومـــا سمعـــت أذناي – قط – شيئًا إلا وعاه قلبي [(١)].

وقال: لزمت سعيد بن المسيب أربعة أيام يحدثني. فقال يومًـــا: ليس تكتب! فهل يصير في يديك شيء مما أحدثك به؟ قلت له: إن شئت حدثتك بما حدثتني به. قال: فأعدها عليه. قال: فبقي ينظـــر إلي ويقول: أنت أهل أن تحدث فسل، فأقبلت أسأله [(٢)].

قال أحمد بن حنبل: كان قتادة أحفظ أهل البصرة، لا يســـمع شيئًا إلا حفظه، قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها [(٣)].

٣- محمد بن مسلم الزهري (ت١٢٥):

قال الزهري: ما استودعت قلبي شيئًا – قط – فنسيته [(٤)].

وقال: ما استعدت حديثًا قط، ولا شككت في حديث قط، إلا حديثا واحدا، فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت [(٥)].

٤- سفيان بن سعيد الثوري (ت١٦١):

قال سفيان الثوري: ما استودعت قلبي شيئًا قط فخانني [(٦)].

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/١٢٣)، سير أعلام النبلاء (٥/٢٧٦). والحث على حفظ العلم ص٥٤.
(٢) حلية الأولياء (٢/٣٣٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٥/٢٧٦).
(٤) حلية الأولياء (٢/٣٦٤)، الجامع للخطيب (٢/٢٦٤)..
(٥) حلية الأولياء (٢/٣٦٣)، الجامع للخطيب (٢/٢٥٣). الحث على حفظ العلم ص٥٥.
(٦) المجروحين لابن حبان (١/٥٠) والسير (٧/٢٣٦).

وقال: ما استودعت أذني شيئًا قط إلا حفظتـــه، حـــتى أمـــر بكذاب كلمة قالها [١] فأسد أذني مخافة أن أحفظها [٢].

٥- يزيد بن هارون (ت: ٢٠٦):

قال يزيد بن هارون: سمعت حديث الفتون [٣] مرة فحفظتـــه، وأحفظ عشرين ألفا فمن شاء فليدخل فيها حرفا. قـــال الـــذهبي: حديث الفتون سبع ورقات سمعناه [٤].

٦- عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت٢١٦):

حكى أبو الحسن بن عمر بن بكير عن أبيه قال: كنا يومًا عند الحسن بن سهل، وبحضرته جماعة من أهل العلم منهم الأصـــمعي وأبو عبيدة والهيثم بن عدي وخلق كثير من النـــاس. وصـــاحب الحسن يعرض عليه الرقاع إلى أن وقع في خمسين رقعة، فلما فـــرغ من ذلك أقبل علينا، فقال: تذاكروا العلم. فـــتكلم أبـــو عبيـــدة والأصمعي والهيثم وجرير بن حازم، فالتجَّ المجلس بالمذاكرة إلى أن بلغوا إلى ذكر الحفاظ من أصحاب الحديث، فأخذوا في الزهـــري والشعبي وقتادة وشعبة.

فقال أبو عبيدة: وما الحاجة إلى هؤلاء، وما ندري أصدق الخبر

(١) كذا في المطبوع! ولعل فيه تصحيف، صوابه: بكلمة قالها كذاب. أو نحوه، وعلى كل فالمعنى ظاهر، والحمد لله.
(٢) الحث على حفظ العلم ص٣٩.
(٣) أخرجه النسائي في الكبرى ح١١٣٢٦، (٣٩٦/٦).
(٤) تاريخ بغداد (٣٤٠/١٤)، تذكرة الحفاظ (٣٢٠/١). وانظر: السير (٣٦٣/٩) وفيه: حديث الصور. وانظر تعليق المحقق.

عنهم أم كذب، وبالحضرة رجل يزعم أنه ما أنسي شيئًا قط، وأنه ما يحتاج أن يعيد نظره في دفتره، إنما هي نظرة واحدة ثم قد حفظ ما فيه. يعرض بالأصمعي.

فقال الحسن: نعم والله يا أبا عبيدة إنك لتجيء من هـــذا بمـــا ينكر جدا.

فقال الأصمعي: نعم ما أحتاج أن أعيد النظر في دفتـــر، ومـــا أنسيت شيئًا قط.

فقال الحسن: فنحن نجرب هذا القول، يا غلام: الدفتر الفلاني، فإنه جامع لكثير مما أسندناه وحدثناه. فمضى الغلام ليحضر الدفتر.

فقال الأصمعي: فأنا أريك أعجب من هذا، أنا أعيد القصص التي مرت بأسماء أصحابه وتوقيعاتك فيها كلها، وأمـــتحن ذلـــك بالنظر إليها. وقد كان عارض بتلك التوقيعات في وقت ذلك مـــن حضر واستنصحوا. فاستدعى الحسن القصص.

فقال الأصمعي: القصة الأولى لفلان، قصة كذا وكذا، وقعت كذا وكذا. حتى أتى على سبع وأربعين قصة.

فقال الحسن: حسبك، الساعة والله تقتلك الجماعة بأعينها، يا غلام خمسين ألف درهم. ثم قال: يا غلام أن احملوها معه. فقـــال: تنعم بالحامل كما أنعمت بالمحمول.

فقال: هم لك ولست تنتفع بهم، قد اشتريتهم منـــك بعشـــرة آلاف درهم. فحملت معه الدراهم، وانصرف الباقون بالخيبة [1].

(١) الحث على حفظ العلم ص٤٧، ٤٨.

٧- عبد الله بن هارون المأمون (ت٢١٨):

ركب الأمين والمأمون إلى عبد الله بن إدريس فأسمعهما مائـــة حديث، فقال المأمون: يا عم، إن أذنت لي أعدهما من حفظي. فأذن له، فأعادها من حفظه كما سمعها، فتعجب لحفظه ابنُ إدريس [(١)].

٨- محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦):

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصـــرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول لـــه: إنك تختلف معنا ولا تكتب فما تصنع؟

فقال لنا يوما – بعد ستة عشر يومًا – إنكما قد أكثرتما علـــي وألححتما، فاعرضا علي ما كتبتما. فأخرجنا إليه ما كان عنـــدنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلـــب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه.

ثم قال: أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي؟! فعرفنا أنـــه لا يتقدمه أحد [(٢)].

٩- أبو زرعة الرازي (ت٢٦٤):

قال أبو زرعة: ما سمعت أذني شيئًا من العلم إلا وعاه قلـــبي، وإني كنت أمشي في سوق بغداد فأسمع من الغرف صوت المغنيات

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢٨١/١)، البداية والنهاية (١٤/١٤).
(٢) الحث على حفظ العلم ص٥٥، ٥٦. والسير (٤٠٨/١٢).

فأضع أصبعي في أذني مخاف أن يعيه قلبه [(١)].

١٠- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩):

قال أبو عيسى الترمذي: كنت في طريق مكة فكتبت جزئين من حديث شيخ، فوجدته فسألته وأنا أظن الجزئين معي، فأجابني فإذا معي جزءا بياض، فبقي يقرأ علي من لفظه، فنظر فرأى في يدي ورقا بياضا، فقال: أما تستحي مني؟ فأعلمته بأمري، وقلت: أحفظه كله. قال: اقرأ. فقرأته عليه، فلم يصدقني، وقال: استظهرت قبل أن تجيء.

فقلت: حدثني بغيره، فحدثني بأربعين حديثًا، وقال: هات، فأعدهما عليه ما أخطأت في حرف [(٢)].

١١- أبو الطيب المتنبي (ت٣٥٤):

قال أبو الحسن محمد بن يحيى العلوي: حدثني كتبي كان يجلس إليه المتنبي قال: ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عبدان — يعني المتنبي — كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتابا من كتب الأصمعي — نحو ثلاثين ورقة — ليبيعه، فأخذ ينظر فيه طويلاً.

فقال له الرجل: يا هذا أريد أن أبيعه، فإن كنت تريد حفظه فهذا يكون بعد شهر.

فقال ابن عبدان: فإن كنت قد حفظته فما لي عليك؟ قال أهبه

---

(١) تاريخ بغداد (٣٣٣/١٠).

(٢) تذكرة الحفاظ (٦٣٥/٢).

لك.

قال: فأخذت الدفتر من يده، فأقبل يقرأ علـــي إلى آخـــره، ثم استلبه فجعله في كمه، وقام، فعلق به صاحبه وطالبه بالثمن، فمنعناه منه، وقلنا: أنت شرطت على نفسك (١).

١٢- علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥):

قال الأزهري: بلغني أن الدارقطني حضر في حداثتـــه مجلـــس إسماعيل الصفار، فجعل ينسخ جزءاً كان معه، وإسماعيل يملي، فقال الرجل: لا يصح سماعك وأنت تنسخ.

قال الدارقطني: فهمي للإملاء خلاف فهمك، كم تحفظ أملى الشيخ؟ فقال: لا أحفظ!

قال الدارقطني: أملى ثمانية عشر حديثا، الأول عن فلان عـــن فلان ومتنه كذا وكذا، والحديث الثاني عن فلان عن فلان ومتنـــه كذا وكذا. ومكر في ذلك حتى أتى على الأحاديث، فتعجب الناس منه أو كما قال (٢).

١٣- أبو العباس ابن تيمية (ت٧٢٨):

قال جمال الدين السرمدي: من عجائب زماننا في الحفظ ابـــن تيمية كان يمر بالكتاب مرة مطالعة فينقش في ذهنه (٣).

---

(١) تاريخ بغداد (١٠٣/٤)، تاريخ الإسلام (١٠٢/٢٦).
(٢) السير (٤٥٣/١٦).
(٣) البدر الطالع (٧٠/١).

١٤- أبو المعالي محمد بن علي بـــن أبي العشـــائر الحلـــبي (ت٧٨٩):

قيل: إنه حفظ سورة الأنعام – وهـــو شـــاب – مـــن مـــرة واحدة[١].

ومنهم من يحفظ قدرًا كثيرًا في وقت قليل، كمن حفظ القرآن الكريم في وقت قصير، فمن هؤلاء:

١- أبو وائل شقيق بن ســـلمة (ت٨٢) تعلـــم القـــرآن في شهرين[٢].

٢- محمد بن مسلم الزهري (ت١٢٥) حفظ القرآن في ثمانين ليلة[٣].

٣- قال هاشم الكلبي: حفظت ما لم يحفظه أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد، كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن، فدخلت بيتـــا وحلفت أن لا أخرج حتى أحفظ القرآن، فحفظته في ثلاثة أيـــام. ونظرت يومًا في المرآة، فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضـــة فأخذت ما فوق القبضة [٤].

٤- طالب تركي يدرس في الجامعة استطاع أن يحفظ القـــرآن الكريم في سبعين يومًا فقط[٥].

---

(١) الدرر الكامنة (٤/٨٦).
(٢) السير (٤/١٦٣).
(٣) تذكرة الحفاظ (١/١١٠).
(٤) الحث على حفظ العلم ص٦٥.
(٥) حفظ القرآن الكريم للدويش ص٤٨.

٥- قال الدويش: حدثني أحد المشايخ الحفاظ الذين يعتنـــون بحفظ القرآن الكريم وتعليمه أن رجلا حفظ القرآن في ثلاثة أشهر، كان يحفظ وهو يسقي أو يسني – كما يعرف ذلك كبار السن – فكان معه مصحفه وهو على دابته ذهابا وإيابا يحفظ حتى استطاع أن يحفظ القرآن في ثلاثة أشهر [١].

٦- يذكر أحد المقرئين أن هناك من الشباب من حفظ القرآن في الإجازة الصيفية وحدها [٢].

ومنهم من حفظ متونا كثيرة من السنة في وقـــت قصـــير، أو حفظ نصوصا أدبية، فمن هؤلاء:

١- قال قطب الدين بن اليونيني: عن أبيه – حفـــظ الجمـــع بـــين الصحيحين، وحفظ صحيح مسلم في أربعة أشهر، وحفظ سورة الأنعام في يوم واحد، وحفظ ثلاث مقامات من الحريرية في بعض يوم [٣].

٢- محمد بن عمر صدر الدين ابن الوكيل (ت: ٧١٦) حفظ المقامات في خمسين يوما، وديوان أبي الطيب في جمعة [٤].

٣- قال أبو القاسم التنوخي: سمعت أبي – ولي إذ ذاك خمس عشرة سنة – ينشد بعض قصيدة دعيل الطويلة التي يفخـــر فيهـــا باليمن ويعدد مناقبهم – وهي نحو ستمائة بيت – فاشتهيت حفظها

---

(١) حفظ القرآن الكريم للدويش ص٤٩.
(٢) انظر: حفظ القرآن الكريم للدويش ص٤٩.
(٣) تذكرة الحفاظ (١٤٤٠/٤).
(٤) الدرر الكامنة (١١٩/٤).

لما فيها من تفاخر اليمن أهلي. فقلت: يا سيدي ادفعها إلي حتى أحفظها، فدافعني فألححت عليه. فقال: كأني بك تأخذها فتحفظ منها خمسين بيتا أو مائة بيت وترمي بالكتاب. فقلت: ادفعها إلي، فأخرجها وسلمها إلي، فدخلت حجرة كانت برسمي من داره وخلوت فيها، و لم أتشاغل بيومي وليلتي بشيء عن حفظها، فلما كان في السحر كنت قد فرغت من جميعها وأتقنتها، فخرجت إليه غدوة على رسمي، فجلست بين يديه، فقال لي: كم حفظت من قصيدة دعبل؟ فقلت: قد حفظتها بأسرها. فغضب، وقد راماني قد كذبته، فقال: هما، فأخرجت الدفتر من كمي ففتحته ونظر فيه وأنا أنشد إلي أن مضيت في أكثر من مائة بيت، فصفح منها عدة أوراق وقال: أنشد من ها هنا فأنشدته إلى آخرها، فلما رأى من حسن حفظي ضمني إليه وقبل رأسي وعيني، وقال: بالله يا بني لا تخبر بهذا أحدًا، فإن أخاف عليك العين[1].

ومنهم من يحفظ القدر الكثير في المجلس الواحد، فمن هؤلاء:

١- قيل لهشيم بن بشير: كم كنت تحفظ يا أبا معاوية؟ قال: كنت أحفظ في المجلس مائة حديث، ولو سئلت عنها بعد شهر لأجبت![2].

٢- قال وكيع: ما كان أحد من أصحابنا أحفظ للحديث منه – يعني يحيى بن يمان – كان يحفظ في المجلس خمس مائة حديث [3].

(١) الحث على حفظ العلم ص٥١.
(٢) الكامل لابن عدي (٩٥/١)، والحث على حفظ العلم ص٦٥.
(٣) تهذيب الكمال (٥٨/٣٢)، الكاشف (٢٧٣/٣).

٣- أبو عبد الله اليونيني كان يحفظ في الجلسة الواحدة ما يزيد على سبعين حديثا [١].

المبحث الثاني: عجائب في قوة الحفظ:

إن في الأمة الإسلامية رجالاً ضربوا أمثلة عجيبة في قوة الحفظ، تجد في هذه العجالة نبأ بعضهم:

١- قتادة بن دعامة السدوسي (ت١١٨):

عن معمر قال قتادة لسعيد بن المسيب: يا أبـــا النضـــر خـــذ المصحف فامسك علي، فقرأ عليه سورة البقرة، فما أسقط منـــها واوًا ولا ألفًا ولا حرفًا. فقال: يا أبا النضر أحكمتُ؟ قال: نعـــم. قال: لأنا لصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني لسورة البقرة [٢].

٢- أبو نعيم الفضل بن دُكين (ت١١٨):

قال أحمد بن منصور: خرجت مع أحمد بن حنبل ويحيى بـــن معين إلى عبد الرزاق خادما لهما، فلما عدنا إلى الكوفة، قال يحيى: أريد أن أختبر أبا نعيم. فقال أحمد: لا ترد، فالرجل ثقة. قال يحيى: لابد لي، فأخذ ورقة، فكتب فيها ثلاثين حديثا مـــن حـــديث أبي نعيم، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثا ليس من حديثه، ثم جاءوا إلى أبي نعيم، فخرج وجلس على دكان طين، وأخذ أحمد بن حنبل، فأجلسه عن يمينه، ويحيى عن يســـاره، وجلســـت أســـفل

---

(١) تذكرة الحفاظ (١٤٤٠/٤).

(٢) الحلية (٣٣٤/٢)، سير أعلام النبلاء (٢٧٢/٥).

الدكان.

ثم أخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة أحاديث، فلما قرأ الحادي عشر، قال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي اضرب عليه.

ثم قرأ العشر الثاني وأبو نعيم ساكت، فقرأ الحـــديث الثـــاني، فقال: ليس من حديثي فاضرب عليه.

ثم قرأ العشر الثالث وأبو نعيم ساكت، ثم قرأ الحديث الثالث، فتغير أبو نعيم، وانقلبت عيناه، وأقبل على يحيى فقال: أمـــا هـــذا وذراع أحمد بيده – فأورع من أن يعمل هذا، وأما هذا – يريدني – فأقل من أن يفعل ذاك، ولكن هذا من فعلك يا فاعل.

ثم أخرج رجله فرفس يحيى، فرمى به من الدكان، وقام فدخل داره.

فقال أحمد: ألم أمنعك واقل لك إنه ثبت.

قال يحيى: والله لرفسته لي أحب إلي من سفرتي [1].

٣- عاصم بن أبي النجود (ت١٢٨):

قال عاصم بن أبي النجود: مرضت سنتين، فلما قمت قـــرأت القرآن فما أخطأت حرفًا [2].

٤- طلحة بن عمرو (ت١٢٥٢):

(١) السير (١٠/١٤٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/٢٥٨).

قال معمر: اجتمعت أنا وشعبة والثوري فقدم علينا شيخ فأملى علينا أربعة آلاف حديث عن ظهر قلب فما أخطأ إلا في موضعين لم يكن الخطأ منا ولا منه إنما الخطأ من فوق. فكان الرجل: طلحة بن عمرو (١).

٥- وكيع بن الجراح (ت١٩٦):

قال وكيع بن الجراح: ما نظرت في كتاب منذ خمس عشرة إلا في صحيفة يوما، فنظرت في طرف منه، ثم أعدته مكانه (٢).

قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أوعى للعلم من وكيع، ولا أحفظ من وطيه، ما رأيت وكيعًا شك في حديث إلا يومًا واحدًا، ولا رأيت مع وكيع كتابا ولا رقعت قط (٣).

قال ابن عمار: قلت لوكيع: عدوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها؟

قال: حدثتهم بعبادان بنحو من ألف وخمس مائة حديث، وأربعة أحاديث ليس بكثير في ألف وخمس مائة حديث (٤).

٦- علي بن المديني (ت٢٣٤):

قال جعفر بن درستويه: أقعد علي بن المديني بسامرا على منبر فقال: يقبح بمن جلس هذا المجلس أن يحدث من كتاب، فأول

(١) كتاب الحدائق لابن الجوزي (٢٤/١)ز
(٢) تهذيب الكمال (٤٧٧/٣٠).
(٣) تهذيب الكمال (٤٧١/٣٠).
(٤) تهذيب الكمال (٤٧٧/٣٠).

حديث حدث من حفظه غلط فيه، ثم حدث سبع سنين من حفظه لم يخطئ في حديث واحد [١].

٧- إسحاق بن راهويه (ت٢٣٨):

قال أبو داود الخفاف: أملى علينا إسحاق بن راهويه أحد عشر ألف حديث من حفظه، ثم قرأها علينا فما زاد حرفــا ولا نقــص حرفًا [٢].

قال إسحاق: كنت لا أكتب شيئًا إلا حفظته، وإني الآن لكأني أنظر إلى أكثر من سبعين ألف حديث في كتابي [٣].

وقال إسحاق بن إبراهيم: أعرف مكان مائة ألــف حــديث، كأني أنظر إليها، وأحفظ منها سبعين ألف حديث من ظهر قلــبي صحيحة، وأحفظ أربعة آلاف حديث مزورة.

فقيل: ما معنى حفظ المزورة؟ قال: إذا مر بي منها حــديث في الأحاديث الصحيحة فليته منها فليا [٤].

قال علي بن سلمة اللبقي: كان إسحاق — يعني ابن راهويه — عند الأمير عبد الله بن طاهر وعنده إبراهيم بن أبي صالح، فســأل الأمير إسحاق عن مسألة؟

فقال إسحاق: السنة فيها كذا وكذا، وكذلك يقول من سلط

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١٣/٢).
(٢) الحدائق لابن الجوزي (٢٥/١).
(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب (٢٥٣/٢).
(٤) الجامع للخطيب (٢٥٤/٢).

طريق أهل السنة، وأما أبو حنيفة وأصحابه فإنهم قالوا: بخلاف هذا. فقال إبراهيم: لم يقل أبو حنيفة بخلاف هذا.

فقال إسحاق: حفظته من كتاب جده، وأنا وهو في كتــاب واحد.

فقال إبراهيم: أصلحك الله كذب إسحاق على جدي.

فقال إسحاق: ليبعث الأمير إلي جزء كذا وكذا من جامعه.

فأتي بالكتاب، فجعل الأمير يقلب الكتاب، فقال إسحاق: عد من الكتاب إحدى عشرة ورقة، ثم عد تسعة أسطر، ففعل، فــإذا المسألة على ما قال إسحاق.

فقال الأمير عبد الله بن طاهر: قد تحفظ المسائل، ولكني أعجب لحفظك هذه المشاهدة! فقال إسحاق: ليوم مثل هذا [(١)].

قال أحمد بن كامل: قال عبد الله بن طاهر: لإســحاق بــن راهويه: قيل لي إنك تحفظ مائة ألف حديث؟ قال: (مائــة ألــف حديث) ما أدري ما هو؟ ولكني ما سمعت شيئًا قط إلا حفظته، ولا حفظت – قط – شيئًا فنسيته [(٢)].

٨- أحمد بن حنبل (ت٢٤١):

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال لي أبي: خذ أي كتــاب شئت من كتب وكيع من المصنف، فإن شئت أن تسألني عن الكلام

(١) تاريخ بغداد (٦/٣٥٣).
(٢) تاريخ بغداد (٦/٣٥٤).

حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإســناد حــتى أخــبرك أنــا بالكلام[(١)].

٩- أبو زُرْعة الرازي (ت٢٦٤):

قال أبو زرعة: إن في بيتي ما كتبته منذ خمسين سنة و لم أطالعه منذ كتبته، وإني أعلم في أي كتاب هو، في أي ورقة هــو، في أي صفحة هو، في أي سطر هو [(٢)].

وقال أبو زرعة: أحفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وفي المذاكرة ثلاثمائة ألف حديث![(٣)].

١٠- ابن أبي داود (ت٣١٦):

قال ابن أبي داود: حدثت من حفظي بأصبهان بستة وثلاثــين ألفًا، ألزموني الوهم فيها في سبعة أحاديث، فلما انصرفت، وجدت في كتابي خمسة منها على ما كنت حدثتهم به [(٤)].

١١- أبو عمرو الزاهد المعــروف بـــ: غــلام ثعلــب (ت٣٤٥):

حكى أبو القاسم علي بن الحسن عمن حدثه أن أبا عمر الزاهد كان يؤدب ولد القاضي فأملى يوما على الغلام نحوًا مــن ثلاثــين مسألة في اللغة، وذكر غريبها، وختمها ببيتين من الشعر.

(١) السير (١١/ ١٨٦).
(٢) تاريخ بغداد (١٠/٣٣٢).
(٣) الحدائق لابن الجوزي (١/٢٦).
(٤) السير (١٣/٢٢٤) وانظر: الحث على حفظ العلم ص٤٤.

وحضر أبو بكر بن دريد، وابن الأنباري، وابن مقسم عند القاضي، فعرض عليهم تلك المسائل، فما عرفوا منها شيئًا، وأنكروا الشعر، فقال لهم القاضي: ما تقولون فيها؟

فقال له ابن الأنباري: أنا مشغول بتصنيف مشكل القرآن، ولست أقول شيئًا، وقال ابن مقسم مثل ذلك لاشتغاله بالقراءات، وقال ابن دريد: هذه المسائل من موضوعات أبي عمر، ولا أصل لها ولا لشيء منها في اللغة، وانصرفوا.

فبلغ أبا عمر ذلك، فاجتمع مع القاضي، وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عينهم له، ففتح القاضي خزانته، وأخرج له تلك الدواوين، فلم يزل أبو عمر يعمد إلى كل مسألة، ويخرج لها شاهدًا من بعض تلك الدواوين، ويعرضه على القاضي حتى استوفى جميعها، ثم قال: وهذان البيتان أنشدهما ثعلب بحضرة القاضي، وكتبهما القاضي بخطه على ظهر الكتاب الفلاني، فأحضر القاضي الكتاب، فوجد البيتين على ظهره بخطه، كما ذكر أبو عمر. وانتهت القصة إلى ابن دريد، فلم يذكر أبا عمر بلفظة حتى مات(١).

١٢- أبو أحمد العسال (ت٣٤٩):

قيل: إن أبا أحمد العسال أملى أربعين ألف حديث بأردستان، فلما رجع إلى بلده قابل ذلك فإذا به كما أملى (٢).

---

(١) تاريخ بغداد (٢/٣٥٨)، والحث على حفظ العالم ص٦٠. والسير (١٥/٥١٢).
(٢) تذكر الحفاظ (٣/٨٨٧).

١٣- ابن العميد محمد بن الحسين (ت٣٦٠):

قال بعض الكتاب: كنا إذا دخلنا على أبي الفضيل بن العميد، رأينا إلى جانبه في مجلس العمل زهاء مائة مجلدة، فننكر ذلك، ففطن يومًا لإنكارنا فقال: إني أحفظ جميع ما في هـــذه الكتـــب، فـــإذا اشتغلت بالعمل عن درسها، أحضرها عندي فكلما نظرت إليهـــا، ذكرت محفوظي منها، فقام ذلك لي مقام الدرس. ثم قال لرجل منا: خذ أيها شئت. فأخذ الرجل منها كتابًا، وقال: هو الثاني من كتاب كذا. فابتدأ أبو الفضل فقرأ من أوله صدرًا، ثم وســطه، ثم مـــن آخره. فتحقق عندنا أنه صدق ما قال، وعجبنا من حفظه وعنايتـــه وحرصه [(١)].

١٤- الحسين بن أحمد بن بكير (ت٣٨٨):

قال الأزهري: كنت أحضر عند أبي عبد الله بن بكير، وبـــين يديه أجزاء كبار فأنظر بعضها، فيقول لي: أيما أحب إليك تذكر لي متن ما تريد من هذه الأحاديث حتى أخبرك بإسناده، أو تذكرك لي إسناده حتى أخبرك بمتنه. فكنت أذكر له المتون فيخبرني بالأســـانيد من حفظه، وفعلت هذا مرارًا كثيرة [(٢)].

١٥- أبو إسماعيل الهروي (ت٤٨١):

قال أبو إسماعيل الهروي: أنا أحفظ اثني عشر ألـــف حـــديث أسردها سردًا. قال ابن طاهر: وما ذكـــر في مجلســـه حـــديثًا إلا

(١) الحث على طلب العلم ص٦٩.
(٢) الحق على حفظ العلم ص٣٥.

بإسناده، وكان يشير إلى صحته وسقمه [١].

أمثلة من المعاصرين:

١- الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله طلب أن يحضـــر لـــه كتاب الإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب فأحضر فقـــال: افـــتح صفحة كذا ـــ وحدد رقمها ـــ ثم قال: اقرأ سطر ١٢، ثم قـــال: اقرأ الهامش. ثم قال الشيخ: كتاب الإيمان آخر مرة قرأته منذ (٤٠) عامًا، وحدد اسم القارئ [٢].

٢- حدثني إبراهيم بن ناصر السحيباني أنـــه قابـــل شـــابًا في الرياض عام ١٤١٤هـــ تقريبًا وكان هذا الشاب يدرس في معهـــد الرياض العلمي في السنة الثانية المتوسطة، وكان يحفظ القرآن مـــع أرقام الآيات، يقول إبراهيم: كنت أذكر له الآية فيذكر لي رقمها، وأذكر له الرقم فيقرأ الآية. وكنت أسأل عن السورة من آخرهـــا فأقول: ما آخر آية في سورة كذا؟ فيذكر لي. فأقول: ما الآية التي قبلها؟ فيذكر. قال إبراهيم: أنا كنت أسأله بنفسي.

٣- قال محمد بن عبد الله الدرويش: كنت عضـــوًا في لجنـــة لامتحان الحفاظ في الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم وكـــان ضمن المتقدمين غلام لم يتجاوز العاشرة قد حفظ القرآن كـــاملاً، فسألته أن يقرأ من مواضع تصعب على الحافظ فلم يخطئ في حرف واحد، بل كان أحد المتقدمين عمره سبع سنوات قد حفظه كاملاً.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٥٨/١).

(٢) انظر الإمام ابن باز دروس ومواقف وعبر للسدحان ص٢٧-٢٨.

وشاب آخر عمره ١٢ عامًا يحفظ القرآن الكريم حفظًا متقنًا. فهو يحفظ الآية برقمها [(١)].

٤- حدثني أبو سليمان خالد بن عبد الله في عام ١٤٢٢هـ قال: قرأ علي أحد مدرسي جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالمدينة النبوية من أول سورة البقرة إلى نهاية سورة الإسراء، حفظًا عن ظهر قلب، ومن دون سابق مراجعة، فلم يحصل منه خطأ ولا شك ولا تلعثم. قال: وكان ذلك في عام ١٤١٥هـ تقريبًا.

المبحث الثالث: عجائب في كثرة المحفوظ:

من العجائب في الحفظ كثرة المحفوظ، فمن الحفاظ من يحفظ قدرا كبيرًا، ولهم طرائق متنوعة في بيان قدر المحفوظ، وإليكم نبذًا من خبرهم في ذلك:

منهم: من يقدر حفظه بالآلاف أو مئات الآلاف من الأحاديث النبوية، ومن هؤلاء:

١- عبدان (ت١٣٦):

قال علي النيسابوري: فأما عبدان فكان يحفظ مائة ألف حديث [(٢)].

٢- إسماعيل بن عياش (ت١٨٢):

قال داود بن عمرو الضبي: كان إسماعيل – يعني ابن عياش –

(١) حفظ القرآن الكريم للدويش ص٤٤.
(٢) الحث على حفظ العلم ص٤٣، تذكرة الحفاظ (٦٨٩/٢).

يحدثنا من حفظه، ما رأيت معه كتابا قط. فقال له عبـــد الله بـــن أحمد: أكان يحفظ عشرة آلاف حديث؟ فقـــال: وعشـــرة آلاف وعشرة آلاف [١].

٣- عبد الرحمن بن مهدي (ت١٩٨):

قال عبيد الله بن عمر القواريري: أملى علي عبد الرحمن بـــن مهدي عشرين ألف حديث حفظًا [٢].

٤- أبو داود الطيالسي (ت٢٠٤):

قال عمرو بن علي الفلاس: ما رأيت في المحدثين أحفظ من أبي داود الطيالسي! سمعته يقول: أسرد ثلاثين ألف حديث ولا فخـــر، وفي صدري أثنا عشر ألف حديث لعثمان البزي ما ســـألني عنـــها أحد من أهل البصرة فخرجت إلى أصبهان فبثثتها فيهم [٣].

قال عمر بن شبة: كتبوا عن أبي داود الطيالسي أربعين ألـــف حديث وليس معه كتاب [٤].

٥- يزيد بن هارون (ت٢٠٦):

قال يزيد بن هارون: أحفظ أربعة وعشرين ألـــف حـــديث بالإسناد ولا فخر، وأحفظ للشاميين عشرين ألف حديث لا أسأل

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/٢٥٤).
(٢) كتاب الحدائق لابن الجوزي (١/٢٤)، تذكرة الحفاظ (١/٣٣٠)
(٣) كتاب الحدائق لابن الجوزي (١/٢٤).
(٤) كتاب الحدائق لابن الجوزي (١/٢٥)، والحث على حفظ العلم ص٣٨.

عنها[١].

٦- أبو حفص ابن الطباع (ت٢٢٤):

قال أبو داود: كان يحفظ نحوًا من أربعين ألف حديث [٢].

٧- أحمد بن حنبل (ت٢٤١):

قال أبو زرعة: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حـديث. قيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب [٣].

قال الذهبي: فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبـد الله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر، والأثر، وفتوى التابعي، وما فسـر، ونحو ذلك. وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلـغ عشـر معشـار ذلك[٤].

٨- محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦):

قال محمد بن إسماعيل البخاري: أحفظ مائة ألـف حـديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح [٥].

٩- أبو زرعة الرازي (ت٢٦٤):

قال أبو يعلي أحمد بن علي بن المثنى: رحلت إلى البصرة ألقـى

(١) تاريخ بغداد (١٤/٣٣٩-٣٤٠)، تذكرة الحفاظ (١/٣١٨).
(٢) تهذيب الكمال (٢٦/٢٦٣)، تذكرة الحفاظ (١/٤١١).
(٣) تاريخ بغداد (٤/٤١٩-٤٢٠)، الحدائق لابن الجوزي (١/٢٥).
(٤) السير (١١/١٨٧).
(٥) السير (١٢/٤١٥).

المشايخ أبا الربيع الزهراني وهدبة بن خالد وسائر المشايخ، فبينا نحن قعود في السفينة إذا أنا برجل يسأل رجلاً فقال: ما تقول رحمك الله في رجل حلف بطلاق امرأته ثلاثا أنك تحفظ مائة تالف حـــديث؟ فأطرق رأسه مليًا ثم رفع، فقال: اذهب يا هذا فإنك بار في يمينك، ولا تعد إلى مثل هذا!! فقلت: من الرجل؟ فقيل لي: أبـــو زرعـــة الرازي[١].

قال أبو القباني محمد بن جعفر بن حمكويه: سئل أبـــو زرعـــة الرازي: عن رجل حلف بالطلاق أن أبا زرعة يحفظ مـــائتي ألـــف حديث هل حنث؟ فقال: لا[٢].

قال أحمد بن حنبل: ما جاوز الجسر أحفظ من أبي زرعة، قـــد حفظ ستمائة ألف حديث[٣].

١٠- ابن عقدة (ت٣٣٢):

قال ابن عقدة: أحفظ من الحديث بالأسانيد والمتون خمســـين ومائتي ألف حديث، وأذاكر بالأسانيد، وبعض المتون والمراســـيل والمقاطيع ست مائة ألف حديث.

قال أبو بكر بن أبي دارم الحافظ: سمعت أبا العباس أحمد بـــن محمد بن سعيد (المعروف بـــ ابن عقدة) يقول: أحفظ لأهل البيت ثلاث مائة ألف حديث [٤].

---

(١) الحدائق لابن الجوزي (١/٢٦).

(٢) الحدائق لابن الجوزي (١/٢٦).

(٣) الحث على حفظ العلم ص٤٤.

(٤) تاريخ بغداد (٥/١٦-١٧)، والسير (١٥/٣٤٦-٣٤٧).

قال ابن عقدة: دخل البريجي الكوفة، فزعم أنه أحفــظ مــني، فقلت: لا تطول، نتقدم إلي دكان وراق ونزن بالقبان من الكتب ما شئت ثم تلقي علينا فنذكره! قال: فبقي [١].

١١- أبو محمد العسال (ت٣٤٩):

قال أبو أحمد العسال: أحفظ في القراءات خمسين ألف حديث، ويقال: إنه أملى تفسيرا كبيرًا من حفظه [٢].

١٢- أبو بكر الجعابي (ت٣٥٥):

قال أبو بكر الجعابي: أحفظ أربع مائة ألف حديث، وأذاكــر بست مائة ألف حديث [٣].

١٣- إسماعيل بن يوسف:

إسماعيل بن يوسف كان يحفظ أربعين ألف حديث، ويــذاكر بسبعين ألف حديث[٤].

ومنهم: من يقدر حفظه، بآلاف الأبيات من الشواهد النحوية، أو القصائد الشعرية، ومن هؤلاء:

١- علي بن المبارك الأحمر (ت١٩٤):

قال أبو العباس أحمد بن يحيى: كان علي الأحمر يحفظ أربعــين

---

(١) تذكرة الحفاظ (٨٤٠/٣)، والسير (٣٤٦/١٥-٣٤٧).
(٢) تذكرة الحفاظ (٨٨٧/٣).
(٣) الحث على حفظ العلم ص٦٢، السير (٩٠/١٦).
(٤) الحث على حفظ العلم ص٣١.

ألف بيت شاهدا في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائد وأبيات الغريب[١].

٢- عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت٢١٦):

قال عمر بن شبة: سمعت ألأصمعي يقول: أحفظ ستين ألـــف أرجوزة[٢]. وفي رواية قال: ستة عشر ألف أرجوزة [٣].

قال العسكري: كان الأصمعي يحفظ اثـــنتي عشـــرة ألـــف أرجوزة، فيها ما كان عدد أبياته المائة والمائتين [٤].

٣- أبو تمام (ت٢٣٢):

قيل: كان أبو تمام يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب [٥].

٤- أبو بكر الأنباري (ت٣٢٨):

قال أبو علي القالي: كان شيخنا أبو بكر يحفـــظ فيمـــا قيـــل (٣٠٠.٠٠٠) ثلاث مائة ألف بيت شاهدًا في القرآن [٦].

٥- أبو الفتح ابن العميد (ت٣٦٦):

قال العسكري: كان يحفظ أكثر من مائتي ألف بيت [٧].

---

(١) تاريخ بغداد (١٢/١٠٤).
(٢) الحث على حفظ العلم ص٤٦.
(٣) تهذيب التهذيب (٢/٦٢٢).
(٤) الحث على حفظ العلم ص٧٩.
(٥) السير (١١/٦٨).
(٦) الحث على حفظ العلم ص٥٨، وتذكرة الحفاظ (٣/٨٤٢-٨٤٣).
(٧) الحث على حفظ العلم ص٧٩.

٦- أبو الفرج الشنبوذي (ت٣٨٧):

قال أبو الفرج الشنبوذي: أحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقراءات[١].

ومنهم من يقدر حفظه بالكتب، ومن هؤلاء:

١- أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧):

قال سلمة: أملى الفراء كتبه كلها حفظًا [٢].

٢- أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨):

ذكروا أنه يحفظ عشرين ومائة من تفاسير القرآن بأسانيدها[٣].

مرض أبو بكر بن الأنباري في زمن أبيه فقلق أبوه، وقال: كيف لا أقلق على من يحفظ جميع ما في هذه الصناديق من الكتب.

أملى ابن الأنباري من حفظه غريب الحديث وهو خمس وأربعون ألف ورقة، وكتاب شرح الكافي وهو ألف ورقة، وكتاب الأضداد ألف ورقة، والجاهليات سبعمائة ورقة[٤].

كان أبو بكر بن الأنباري يحفظ ثلاثة عشر صندوقًا[٥].

٣- أبو عمر المعروف بغلام ثعلب (ت٣٤٥):

---

(١) تاريخ بغداد (٢٧٢/١).
(٢) السير (١٢٠/١٠).
(٣) الحث على حفظ العلم ص٥٨، وتذكرة الحفاظ (٨٤٢/٣-٨٤٣).
(٤) الحث على حفظ العلم ص٥٨-٥٩.
(٥) الحدائق لابن الجوزي (٢٧/١)، وتذكرة الحفاظ (٨٤٣/٣)

قال أبو علي: من الرواة الذين لم نر قط أحفظ منهم أبو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب أملى من حفظه ثلاثـــين ألف ورقة لغة، فيما بلغني، وجميع كتبه التي في أيدي النـــاس إنمـــا أملاها بغير تصنيف[١].

ومنهم: من يقدر حفظه بالزمن — الزمن الذي يقرأ فيه محفوظه — ومن هؤلاء:

١- الشعبي (ت١٠٤):

قال الشعبي: ما سمعت منذ عشرين سنة مـــن رجـــل يحـــدث بحديث إلا وأنا أعلم به منه [٢].

قال الشعبي: ما أروي شيئًا أقل مـــن الشـــعر، ولـــو شـــئت لأنشدتكم شهرًا لا أعيد [٣].

٢- معمر بن راشد (ت١٥٣):

قال يحيى بن معين: قال هشام بن يوسف: أقام معمـــر عنـــدنا عشرين سنة ما رأينا له كتاب. يعني كان يحدثهم من حفظه [٤].

٣- يونس بن حبيب النحوي (ت١٨٢):

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: اختلفت إلى يونس أربعين ســـنة

(١) تاريخ بغداد (٢/٣٥٧)، والحدائق لابن الجوزي (١/٢٧).
(٢) تذكرة الحفاظ (١/٨٨).
(٣) تذكرة الحفاظ (١/٨٤).
(٤) السير (٧/٨).

كل يوم أملأ ألواحي من حفظه وأنصرف [١].

الفصل الثالث

طريقـــة الحفـــظ

أعلم – وفقني الله وإياك – أن من أراد أن يحفظ حفظًا متقنًـا يبقى معه دهرًا طويلاً، فإنه ينبغي له أن يسلك هذه الطريقة – ألآتي ذكرها – وليس هناك طريقة غيرها – فيما أعلم – لمن أراد الحفظ الجيد، أما من يحفظ حفظًا مؤقتًا لغرض ما، فليس هذا الحديث له.

ثم أعلم – رعاك الله – أن هذه الطريقة مستفادة مـن أقـوال السلف وتطبيقاتهم، أولئك الأعلام الذين سبق ذكر طـرف مـن عجائبهم في الحفظ قوة، وكثرةً، لتعلم أن ذلك الحفظ القوي، من هذه الطريقة، فمن أراد درجتهم في قوة الضبط، فليسلك سبيلهم في طريقة الحفظ.

وقبل ذكر هذه الطريقة ينبغي التنبيه إلى أن هذا الأمر يحتاج إلى صبر وجلد، وطول نفس، فلا يستعجل النتائج، ولا يمـل لطـول الوقت، بل يصبر ويعلم أنه على خير عظيم، لأن هذا الوقت الطويل الذي يقضيه في طلب العلم لا يذهب هدرًا بل يـؤجر عليـه إذا صلحت النية.

وبعد – أيها الموفق – فإنه لابد في الحفظ من أمرين:

(١) كتاب الحث على طلب العلم للعسكري. ص٧٠، وفيات الأعيان (٧/٢٤٤).

الأمر الأول: تقليل الكمية المراد حفظها.

الأمر الثاني: التكرار.

الأمر الأول: تقليل الكمية المراد حفظها:

ينبغي لمن أراد حفظ نص ما أن يقسم هذا النص على الأيـــام، بحيث يحفظ كل يوم جزءًا معينًا، ويكون هذا الجزء قليلاً، ولا يكثر على نفسه فتمل أو تكل، فقد قيل: من رام العلم جملة ذهب عنـــه جملة. وقيل ازدحام العلم مضلة الفهم.

وثبت في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حـــتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل». متفق عليه [(١)].

قال الخطيب البغدادي: وينبغي له أن يتثبـــت في الأخـــذ ولا يكثر، بل يأخذ قليلاً قليلاً حسب ما يحتمله حفظه، ويقرب مـــن فهمه فإن الله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُـــزِّلَ عَلَيْـــهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَـــاهُ تَرْتِيلًـــا﴾ [الفرقان: ٣٢][(٢)].

وقال: أعلم أن القلب جارحة من الجوارح تحتمـــل أشـــياء، وتعجز عن أشياء، كالجسم الذي يحتمل بعض الناس أن يحمل مائتي رطل، ومنه من يعجز عن عشرين رطلاً.

---

(١) صحيح البخاري ح٥٨٦١، وصحيح مسلم ح٧٨٢.
(٢) الفقيه والمتفقه (١٠١/٢).

وكذلك منهم من يمشي فراسخ في يوم ولا يعجزه، ومنهم من يمشي بعض ميل فيضر ذلك به.

ومنهم من يأكل الطعام أرطالاً، ومنهم من يتخمه الرطل فمـــا دونه.

فكذلك القلب: من الناس من يحفظ عشر ورقات في ســـاعة، ومنهم من لا يحفظ نصف صفحة في أيام، فإذا ذهب الذي مقـــدار حفظه نصف صفحة يروم أن يحفظ عشر ورقات تشبها بغيره لحقه الملل، وأدركه الضجر، ونسي ما حفظ، ولم ينتفع بما سمع.

فليقتصر كل امرئ من نفسه على مقدار يبقـــى فيـــه مـــا لا يستفرغ كل نشاطه، فإن ذلك أعون له على التعليم مـــن الـــذهن الجيد والمعلم الحاذق [(١)].اهـــ.

قال الزرنوجي: قال مشايخنا رحمهم الله: ينبغي أن يكون قـــدر السبق للمبتدى قدر ما يمكن ضبطه بالإعادة مرتين بالرفق، فقد قيل السبق حرف، والتكرار ألف [(٢)].اهـــ.

قال يونس بن يزيد: قال لي ابن شهاب: يا يـــونس لا تكـــابر العلم فإن العلم أودية، فأيها أخذت فيه قطع بك قبـــل أن تبلغـــه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة فإن مـــن رام أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مـــع الأيـــام

(١) الفقيه والمتفقه (١٠٧/٢).

(٢) تعليم المتعلم طريق التعلم ص٣٢-٣٣. ط. مكتبة القاهرة.

والليالي[(١)].

وقال يونس: سمعت الزهري يقول: إن هذا العلم إن أخذتـــه بالمكاثرة غلبك، و لم تظفر منه بشيء، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذًا رفيقا تظفر به [(٢)].

قال الخليل بن أحمد: اجعل تعليمك دراسة لك، واجعل مناظرة العلم تنبيهًا بما ليس عندك، وأكثر من العلم لـــتعلم، وأقلـــل منـــه لتحفظ[(٣)].

قال ابن الصلاح: وليكن تحفُّظه للحديث على التدرج قلـــيلاً قليلاً مع الأيام والليالي فذلك أحرى بأن يُمتَّع بمحفوظه. وممن ورد ذلك عنه حفاظ الحديث المتقدمين: شعبة، وابن علية، ومعمر[(٤)].

أمثلة من تطبيقات أهل العلم لهذا الأمر:

هذه بعض الأمثلة من الحياة العلمية لسلف الأمة، تظهر لـــك كيف كانوا يحرصون على التزام هذا الأمر في أنفسهم ومع طلابهم، حرصًا على الإتقان.

١- عن ميمون أن ابن عمر رضي الله عنهما تعلم سورة البقرة في أربع سنين [(٥)]. وقيل: إنه مكث على سورة البقرة ثمان ســـنين

(١) جامع بيان العلم وفضلة ص١٦٨.
(٢) حلية الأولياء (٣٦٤/٤).
(٣) جامع بيان العلم ص٢٠٦.
(٤) علوم الحديث ص٢٢٧.
(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٢٣/٤).

يتعلمها [١].

٢- قال أبو عبد الرحمن السلمي: كنا إذا تعلمنا عشر آيــات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرمهــا وأمرها ونهيها [٢].

٣- قال أبو العالية: تعلموا القرآن خمس آيات فإنــه أحفــظ لكم، فإن جبريل عليه السلام كان ينزل به خمس آيات خمس آيات [٣].

٤- قال سفيان الثوري: كنت آتي الأعمش ومنصورا فــأسمع أربعة أحاديث أو خمسة، ثم أنصرف كراهية أن تكثر وتفلت [٤].

٥- قال أبو بكر بن عياش: قرأت القرآن على عاصم بــن أبي النجود فكان يأمرني أن أقرأ كل يوم آية لا أزيد عليها، ويقول: إن هذا أثبت لك. فلم آمن أن يموت الشيخ قبل أن أفرغ من القــرآن فما زلت أطلب إليه حتى أذن لي في خمس آيات كل يوم [٥].

فهذا عاصم يلزم أبا بكر بهذه الطريقة، ويأمره بتقليل القــدر المحفوظ، ليصل إلى درجته في الإتقان، كما وصفه عاصم بقولــه: مرضت سنتين، فلما قمت قرأت القرآن فما أخطأت حرفًا [٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/٤٠).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/٣٩).
(٣) حلية الأولياء (٢/٢١٩).
(٤) فتح المغيث (٣/٣١٦).
(٥) طبقات الحنابلة (١/٤٢).
(٦) سير أعلام النبلاء (٥/٢٥٨).

انظر إلى هذا الضبط العجيب، بعد سنتين لا يستذكر حفــظ القرآن فيهما لمرضه، يقرأه فلا يخطئ في حرف.

ولقد أنتجت هذه الطريقة ثمارها، فها هو أبو بكر يقول: فلقد فارقت عاصمًا، وما أسقط من القرآن حرفًا (١).

٦- جاء أبو حنيفة إلى حماد بن أبي سليمان فقال له: ما جــاء بك؟ قال: أطلب الفقه. قال: تعلم كل يوم ثلاث مسائل، ولا تزد عليها شيئًا، حتى يتفق كل شيء من العلم، فتعلم، ولزم الحلقة حتى فقه، فكان الناس يشيرون إليه بالأصابع (٢).

٧- قال شعبة: كنت آتي قتادة فأسأله عن حديثين فيحدثني، ثم يقول: أزيدك؟ فأقول: لا حتى أحفظهما وأتقنهما (٣).

نعم إنه يريد أن يصل إلى درجة قتادة في الإتقان، عن معمر قال قتادة لسعيد بن المسيب: يا أبا النضر خذ المصحف فامسك علــي، فقرأ عليه سورة البقرة، فما أسقط منها واوا ولا ألفًا ولا حرفًــا. فقال: يا أبا النضر أحكمت؟ قال: نعم. قال: لأنا لصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني لسورة البقرة (٤).

٧- ذكر بعض طلبة العلم عن أحدهم أنه كان يحفظ في كــل يوم نصف بيت من الألفية فبقي في حفظ الألفية ثمان سنوات.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/٥٠٣).
(٢) الفقيه والمتفقه (٢/١٠١).
(٣) السير (٧/٢٢٥-٢٢٦).
(٤) الحلية (٢/٣٣٤)، سير أعلام النبلاء (٥/٢٧٢).

الأمر الثاني: التكرار:

إذا عمل مريد الحفظ بالأمر الأول وهو تقليل المادة المحفوظة يوميًا، فينبغي له كذلك أن يكرر هذا النص مرات كثيرة جدًا، فإن الحفظ لا يثبت إلا بالتكرار، فمن أراد أن يبقى حفظه مدة طويلة فليكثر من إعادته وتكراره.

قال ابن الجوزي: الطريق في إحكام المحفوظ كثرة الإعادة، والناس يتفاوتون في ذلك: فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير، فينبغي للإنسان أن يعيد بعد الحفظ ليثبت معه المحفوظ [١].

وقال: قد كان خلق كثير من سلفنا يحفظون الكثير من الأمر، فآل الأمر إلى أقوام يفرون من الإعادة إلى الكسل، فإذا احتاج أحدهم إلى محفوظ لم يقدر عليه.

ولقد تأملت على المتفقهه أنهم يعيدون الدرس مرتين أو ثلاثًا، فإذا مر على أحدهم يوما نسي ذلك، وإذا افتقر إلى شيء من تلك المسألة في المناظرة لم يقدر على ذلك، فذهب زمان الأول ضائعًا، ويحتاج أن يبتدئ الحفظ لما تعب فيه أولاً، السبب أنه لم يحكمه[٢].اهـ.

قال الزرنوجي: وينبغي لطالب العلم أن يعد ويقدر لنفسه تقديرًا في التكرار فإنه لا يستقر في قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ. وينبغي

(١) الحث على حفظ العلم ص٢١.

(٢) الحث على حفظ العلم ص١٢.

لطالب العلم أن يكرر سبق الأمس خمس مرات، وسبق اليوم الذي قبل الأمس أربع مرات، والسبق الذي قبله ثلاث مرات، والـــذي قبله اثنين، والذي قبله مرة واحدة. فهذا أدعى إلى الحفظ [١]. اهـــ.

عقد الخطيب في كتابه (الجامع) فصلاً فقال: تكرير المحفـــوظ على القلب.

ثم ذكر فيه قول علقمة: أطيلوا كر الحديث لا يدرس.

وقول سفيان: اجعلوا الحديث حديث أنفسكم، وفكر قلوبكم، تحفظوه [٢].

قال الحسن: بن أبي بكر النيسابوري: لا يحصل الحفظ حـــتى يعاد خمسين مرة [٣].

وقال: إن فقيهًا أعاد الدرس في بيته مرارا كـــثيرة، فقالـــت: عجوز – في بيته -: قد والله حفظته أنا! فقال: أعيديه. فأعادتـــه. فلما كان بعد أيام، قال: يا عجوز، أعيدي ذلك الدرس. فقالـــت: ما أحفظه. قال: أنا أكرر الحفظ لئلا يصيبني ما أصابك [٤].

قال ابن جبرين: الغالب أن من حفظ سريعًا بدون تكرار فإنـــه ينسى سريعًا، ولقد كان الكثير من الطـــلاب قـــديمًا يكرســـون جهودهم في الحفظ، حتى كان أحدهم يقرأ الحديث أو الباب مائة

---

(١) تعليم المتعلم طريق التعلم ص٤١. ط. مكتبة القاهرة.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٢٦).

(٣) الحث على حفظ العلم ص٢١.

(٤) الحق على حفظ العلم ص٢١.

مرة، حتى يرسخ في ذاكرته، ثم بعد ذلك يكررون ما حفظوه [١].

أمثلة تطبيق هذا الأمر عند أهل العلم:

١- قال ابن مفلح: روي عن الزهري أنه كان يرجع إلى منزله وقد سمع حديثًا كثيرا، فيعيده على جارية له من أوله إلى آخره كما سمعه، ويقول لها: إنما أردت حفظه. وكان غيره يعيده على صبيان المكتب ليحفظه [٢].

٢- قال أبو الوليد: قال لي حماد بن زيد: إذا خالفني شعبة في حديث صرت إلى قوله. قلت: كيف يا أبا إسماعيل؟ قال: إن شعبة كان لا يرضى أن يسمع الحديث عشرين مرة، وأنا أرضى أن أسمعه مرة[٣].

٣- قال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين يقـــول: لـــو لم نكتب الحديث خمسين مرة، ما عرفناه [٤]. وقال مجاهد بن موسى: كان يحيى بن معين يكتب الحديث نيفا وخمسين مرة [٥].

٤- قال أبو إسحاق الشيرازي: كنت أعيد كل قياس ألـــف مرة، فإذا فرغت منه أخذت قياسًا آخر، وهكذا. وكنت أعيد كل درس ألف مرة، فإذا كان في المسألة بيت يستشهد بـــه، حفظـــت

(١) كيف تطلب العلم؟ حوار مع فضيلة الشيخ العلامة د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين. إعداد: عيسى بن سعد آل عوشن. ص٣١.
(٢) الآداب الشرعية (١٢٠/٢).
(٣) السير (٢١٩/٧).
(٤) السير (٨٤/١١).
(٥) السير (٩٢/١١).

القصيدة [١].

وأثمر هذا التكرار ثمرته فقد قيل: إن أبا إسحاق كـــان يحفـــظ مسائل الخلاف كما يحفظ أحدكم الفاتحة [٢].

٥- سئل بكر بن محمد البخاري عن مسألة، فقال: هذه المسألة أعدها في برج من حصن بخارى أربع مائة مرة. وكان إذا طلـــب المتفقه منه الدرس ألقى عليه من أي موضع شاء من غـــير مطالعـــة كتاب [٣].

٦- إسماعيل بن محمد بن إسماعيل يقال أقرأ المقنع مائة مرة [٤].

ومن أمثلة المعاصرين:

٧- سمعت الشيخ عبد الرحمن الفريان يقول: كنت أيام الطلب في الصغر أكرر الدرس من القرآن ثمانين مرة. فقال لي الشيخ عبـــد الله بن حميد رحمه الله: كرر مائة مرة فقلت: هذا كثير.

٨- حدثني بعض الشناقطة في المسجد النبوي: أنهـــم إذا أرادوا حفظ درس كرروه مائة مرة.

أيها الموفق: لقد كان أهل العلم يلزمون أنفســـهم بـــالتكرار، ويحتالون عليها لإذهاب الملل عنها، ومن أمثلة ذلك:

---

(١) طبقات الشافعية (٢١٨/٤).
(٢) طبقات الشافعية (٢٢٢/٤).
(٣) الحث على حفظ العلم ص٣٢، السير (٤١٦/١٩).
(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٤٠٩/٢).

قال الكيا الهراسي: كانت في مدرسة سرهنك بنيسابور قناة لها سبعون درجة، وكنت إذا حفظت الدرس أنزل القناة وأعيد الدرس في كل درجة مرة في الصعود والنزول.

قال: وكذا كنت أفعل في كل درس حفظته [١].

وفي بعض الكتب أنه – الكيا – كان يكرر الدرس على كـــل مرقاة من مراقي درج المدرسة النظامية بنيسابور سبع مـــرات، وأن المراقي كانت سبعين مرقاة [٢]. أي: يكرر الدرس (٤٩٠) مرة.

وحدثني علي بن عبد الرحمن السحيباني أنه قابل في (موريتانيا) بعض الشناقطة ممن حفظه متقن، فسأله عن طريقتـــه في المراجعـــة فقال: أكرره على الجهات ثمانين مرة، يتجه نحو الشرق فيقرأ ثمانين مرة، ثم يتجه نحو الغرب فيقرأ ثمانين مرة، وكذا باقي الجهات.

فأنظر كيف يحتالون في إذهاب الملل عن الـــنفس، وإلزامهـــا بالعدد المطلوب تكراره، فهذا يقرأ الدرس على كل درجـــة، وذاك يكرره على كل جهة، من أجل إبعاد الملل والسآمة، لأنه لو جلس في بيته وأراد أن يكرر هذا العدد لمل وسأم، وربما لم يكمل كل هذا العدد.

تنبيهات:

أولاً: يجب على من أراد الحفظ أن يصحح ما يقرؤه قبل حفظه

(١) طبقات الشافعية (٢٣٢/٧).
(٢) طبقات الشافعية (٢٣٢/٧).

تصحيحًا متقنًا، ولا يحفظ شيئًا قبل تصـــحيحه، لأنـــه يقـــع في التحريف والتصحيف [(١)].

ثانيًا: ينبغي للدارس أن يرفع صوته في درسه حتى يسمع نفسه، فإن ما سمعته الأذن رسخ في القلب، ولهذا كان الإنسان أوعى لمـــا يسمعه منه لما يقرأه.

قال الزبير بن بكار: دخل علي أبي وأنـــا أروي في دفتـــر ولا أجهر، أروي فيما بيني وبين نفسي.

فقال لي: إنما لك من روايتك هذه ما أدى بصرك إلى قلبـــك، فإذا أردت الرواية فانظر إليها واجهر بها، فإنه يكون لك مـــا أدى بصرك إلى قلبك، وما أدى سمعك إلى قلبك [(٢)].

قال العسكري: حكي لي عن أبي حامد: أنـــه كـــان يقـــول لأصحابه: إذا درستم فارفعوا أصواتكم، فإنه أثبت للحفظ وأذهب للنوم. وكان يقول: القراءة الخفية للفهم، والرفيعة للحفظ والفهـــم [(٣)].

قال الزرنوجي: وينبغي ألا يعتاد المخافتـــة في التكـــرار، لأن الدرس والتكرار ينبغي أن يكونا بقوة ونشاط، ولا يجهر جهرا يجهد نفسه كيلا ينقطع عن التكرار، فخير الأمور أوسطها [(٤)]. اهـــ.

---

(١) انظر: تذكرة السامع والمتكلم ص١٢١-١٢٢.

(٢) الجامع للخطيب ٢/٢٦٦.

(٣) الحث على طلب العلم ص٧٢.

(٤) تعليم المتعلم طريق التعلم ص٤١. ط. مكتبة القاهرة.

الفصل الرابع

أسباب الحفظ

هذه بعض الأسباب المعينة على الحفظ، وليس ذكرها هنا على سبيل الحصر، لكن لعل هذه هي أهم أسباب الحفظ.

وقد حرصت عند ذكر كل سبب على بيان إفادة أهل العلـــم منه، وما لم أذكره من أسباب فلعدم أهميته في نظري، أو يكون مما فات سهوًا.

والله أسأل أن ينفعني به ومن بلغ.

الأول: الدعاء.

الثاني: ترك المعاصي.

الثالث: الاهتمام.

الرابع: التعود.

الخامس: العمل به.

السادس: اختيار الوقت المناسب.

السابع: الحفظ في الصغر.

الثامن: المراجعة.

الأول: الدعاء:

الدعاء سبب لكل خير، ومفتاح لكل باب، به تجلب المنـــافع،

وتدفع المكروهات، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فهذا وعد من الله بالإجابة ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّـهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، فاحرص – يا طالب العلم – على دعاء الله جل جلاله فإنه دعائه خير محض، وغنم بللا غرم، وهو أيسر سبب، وأسرع سبيل، صاحبه رابح على كل حال.

قال ابن حجر: وأنا شربته مرة – يعني ماء زمزم – وسألت الله – وأنا حينئذ في بداية طلب الحديث، ثم حججت بعد مدة تقرب من عشرين سنة، وأنا أجد من نفسي المزيد على تلك المرتبة، فسألته أعلى منها، فأرجو الله أن أنال ذلك [(١)].

ومن هنا ينبه على ما جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ماء زمزم لما شرب له» أخرجه ابن ماجه [(٢)].

وقد كان أهل العلم يحرصون على الشرب منه، وسؤال الله تعالى ما ينفعهم من خيري الدنيا والآخرة.

ومتى توجه العبد إلى ربه جل وعلا بإخلاص وصدق حاضر القلب أجيب دعائه، وكم داع أخلص لله مع ذل وخشوع وبكاء استجيب له.

---

(١) جزء في حديث «ماء زمزم لما شرب له» لابن حجر، ص٣٧.

(٢) السنن ح٣٠٦٢. وللحديث شواهد من حديث ابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، ومعاوية، وقد تكلم ابن حجر على كل واحد من هذه الشواهد ثم قال: فمرتبة هذا الحديث عند الحفاظ باجتماع هذه الطرق يصلح للاحتجاج به، على ما عرف من قواعد أئمة الحديث. ص٣٢ المصدر السابق.

قال خلف بن محمد بن الفضل: سمعت أبي يقول: ذهبت عينـــا محمد بن إسماعيل في صغره فرأت والدته في المنام إبـــراهيم الخليـــل عليه السلام فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك — أو كثرة دعائك — فأصبحنا وقد رد الله عليه بصره [(١)].

الثاني: ترك المعاصي:

من أهم الأسباب المعينة على حفظ العلم الشـــرعي اجتنـــاب المعاصي، وقد كثر السلف في التنبيه على هذا الأمر، فمن ذلك:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إني لأحسب الرجل ينسى العلـــم كان يعلمه للخطيئة كان يعملها. أخرجه الدارمي [(٢)].

قال على بن خشرم: ما رأيت بيد وكيع كتابا قط، إنما هـــو حفظ، فسألته عن أدوية الحفظ؟ فقال: إن علمتك الدواء استعملته؟ قلت: أي والله! قال: ترك المعاصي ما جربت مثله للحفظ [(٣)].

قال بعضهم:

شـــكوت إلى وكيـــع ســـوء حفظـــي
فأومـــــأ لي إلى تـــــرك المعاصـــــي
وقـــال بـــأن حفـــظ الشـــيء فضـــل

---

(١) كرامات أولياء الله عز وجل للالكائي ص٢٤٧.

(٢) سنن الدارمي ح٣٧٦، (١/١١٧)، الجامع للخطيب ٢/٢٥٨ وانظر الفوائد ص١٤٧.

(٣) الجامع للخطيب (٢/٢٥٨)، وهذا اللفظ في سير أعلام النبلاء (٩/١٥١)، تهذيب الكمال (٣٠/٤٨٠).

وفضـــــل الله لا يدركـــــه عاصـــــي [١]

قال بشر بن الحارث: إن أردت أن تلقن العلم فلا تعص [٢].

قال يحيى بن يحيى: سأل رجل مالك بن أنس: يا أبا عبد الله هل يصلح لهذا الحفظ شيء؟ قال: إن كان يصلح لـــه شـــيء فتـــرك المعاصي [٣].

قال الضحاك بن مزاحم: ما من أحد تعلم القرآن فنســـيه إلا بذنب يحدثه، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وإن نسيان القرآن من أعظـــم المصائب [٤].

الثالث: الاهتمام:

إن الاهتمام للشيء، والحرص عليه، واشتغال الفكر به، ييســـر حفظه، وهذا أمر ظاهر حتى في حاجات المرء الشخصية، فما كان منها محل اهتمامه، فإنه قل أن ينساه.

قال سفيان: اجعلوا الحديث: حديث أنفسكم، وفكر قلوبكم، تحفظوه [٥].

قال البخاري: لا أعلم شيئًا أنفع للحفظ من نهمـــة الرجـــل،

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٥٨).
(٢) الجامع للخطيب (٢/٢٥٨).
(٣) الجامع للخطيب (٢/٢٥٨).
(٤) فضائل القرآن لابن كثير ص١٣٨.
(٥) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٦٦).

ومداومة النظر [١].

النهمة: بلوغ الهمة في الشيء، ومنه (النهم من الجوع)، ومنــه الحديث: «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا»[٢].

ثم قال البخاري: وذاك أني كنت بنيسابور مقيمًا، فكان تــرد إلي من بخارى كتب، وكن قرابات لي يقرئن سلامهن في الكتــب، فكنت اكتب كتابا إلى بخارى، وأردت أن أقرئهن سلامي، فذهب علي أساميهن حين كتبت كتابي، و لم أقرئهن سلامي، وما أقل مــا يذهب عني من العلم [٣].

قلت: تأمل هذه القصة التي ذكرها البخاري في نفســه، فإنــه نسي أسامي قرابات له، وهو القائل: تذكرت يومًا أصحاب أنــس فحضرني في ساعة ثلاثمائة نفس [٤].

ولما قيل له: أنت الذي يقول: إني أحفظ سبعين ألف حديث! قال: نعم، وأكثر. ولا أجيئك بحديث من الصحابة والتــابعين إلا عرفتك مولد أكثرهم ووفاهم ومساكنهم [٥].

فمع سعة حفظه وقوته ينسى أسماء بعض قراباته من النســاء، وهو القائل: ما أقل ما يذهب عني من العلم. ومرجع ذلك كله إلى

---

(١) السير (٤٠٦/١٢)، هدي الساري ص٤٨٧-٤٨٨.
(٢) النهاية (١٣٨/٥).
(٣) السير (٤٠٦/١٢).
(٤) هدي الساري ص٤٨٨.
(٥) السير (٤١٧/١٢).

الاهتمام فلشدة اهتمامه للعلم قل ما يفوته منه، ولقلـة اهتمامـه لأسماء تلك النسوة ذهب عليه أسماؤهن، حتى لم يقدر على استذكار وقت حاجة إليهن.

قال العسكري: والحفظ لا يكون إلا مع شدة العناية، وكثـرة الدرس، وطول المذاكرة (١).

الرابع: التعود:

قد يجد الإنسان صعوبة في الحفظ أول أمره، لكن مع تمـرين النفس عليه يسهل، فكثرة التمرين على الحفظ، تزيد الحافظة قـوة وسرعة.

قال الزهري: إن الرجل ليطلب وقلبه شعب من الشعاب، ثم لا يلبث أن يصير واديا، لا يوضع فيه شيء إلا التهمه (٢).

قال العسكري: يريد أن أول الحفظ شديد، يشق على الإنسان، ثم إذا اعتاد سهل. ومصداق ذلك ما أخبرنا به الشيخ أبـو أحمـد الصولي عن الحارث بن أسامة قال: كان العلماء يقولون: كل وعاء أفرغت فيه شيئًا فإنه يضيق، إلا القلب فإنه كلما أفرغ فيه أتسع.

قال العسكري: وكان الحفظ يتعذر علي حين ابتدأت ثم عودته نفسي إلي أن حفظت قصيدة قريبًا من مائتي بيت في ليلة (٣).

---

(١) الحث على طلب العلم ص٦٧.
(٢) الحث على طلب العلم ص٧١.
(٣) كتابه: الحث على طلب العلم ص٧١.

الخامس: العمل به:

مما يثبت العلم العمل به، فإذا عمل بما علمه ازداد ذلك العلـــم رسوخًا، وإلى هذا نبه أهل العلم، فمن ذلك:

قال الشعبي: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل بــه [١]. ومثله عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع [٢].

قال سفيان الثوري: يهتف العلم بالعمـــل فـــإن أجابـــه وإلا ارتحل[٣].

قال وكيع بن الجراح: إذا أردت أن تحفظ الحـــديث فاعمـــل به[٤].

قال ابن عثيمين: ومن الطرق التي تعين علـــى حفـــظ العلـــم وضبطه: أن يهتدي الإنسان بعلمه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] وقال: ﴿وَيَزِيدُ اللَّـــهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] فكلما عمل الإنسان بعلمه زاده الله حفظًا وفهمًا لعموم قوله ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾. اهـــ [٥].

السادس: اختيار الوقت المناسب:

من الأسباب المعينة على الحفظ، أن يختار وقتًا مناسبًا للحفظ،

---

(١) جامع بيان العلم ص٢٩١.
(٢) الجامع للخطيب (٢/٢٥٩).
(٣) جامع بيان العلم ص٢٩٠.
(٤) علوم الحديث لابن الصلاح ص٢٢٣.
(٥) ص٦٣ كتاب العلم لابن عثيمين، إعداد: فهد السليمان.

وقد ذكر العلماء أي الساعات أفضل، فمما قالوه في ذلك:

قال الخطيب: اعلم أن للحفظ ساعات ينبغي لمن أراد التحفظ أن يراعيها، فأجود الأوقات الأسحار، ثم بعدها وقت انتصاف النهار، وبعدها الغدوات دون العشيات، وحفظ الليل أصلح من حفظ النهار [(١)].

قال أحمد بن الفرات: لم نزل نسمع شيوخنا يذكرون أشياء في الحفظ، فأجمعوا أنه ليس شيء أبلغ فيه إلا كثرة النظر. وحفظ الليل غالب على حفظ النهار. قال: وسمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: إذا هممت أن تحفظ شيئًا فنم، وقم عند السحر، فأسرج وانظر فيه، فإنك لا تنساه بعد إن شاء الله [(٢)].

قال الخطيب البغدادي: إنما اختاروا المطالعة بالليل لخلو القلب، فإن خلوه يسرع إليه الحفظ. ولهذا قال حماد بن زيد – لما قيل له –: ما أعون الأشياء على الحفظ؟ قال: قلة الغم. وليس يكون قلة الغم إلا مع خلو السر وفراغ القلب، والليل أقرب الأوقات من ذلك.

السابع: الحفظ في الصغر:

إن من أسباب ثبات المحفوظ، أن يكون الحفظ في أيام الصغر، وقد أشار أهل العلم إلى ذلك، فمن كلامهم عنه:

---

(١) الفقيه والمتفقه (١٠٣/٢).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢٦٥/٢).

١- قال قتادة: الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر [١].

٢- قال معمر: سمعت من قتادة وأنا ابن أربع عشرة سنة، فما شيء سمعت في تلك السنين إلا وكأنه مكتوب في صدري [٢].

٣- قال علقمة بن قيس: ما حفظت وأنا شاب فكأني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة [٣].

٤- قال الحسن: طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر[٤].

فهذه الأقوال فيها تنبيه للآباء والأولياء والمربين أن يعتنوا بأبنائهم ومن تحت ولايتهم ومن يقومون بتربيتهم عناية خاصة في وقت الصغر، ويجتهدوا في تحفيظهم ما ينفعهم، لأن الحفظ في هذا أثبت، وهذه ساعة متى فرط فيها لا يمكن استدراكها.

الثامن: المراجعة.

من أسباب ثبات المحفوظ ودوامه بعد حفظه، مراجعته مرة بعد أخرى، ولأهمية هذا الأمر فقد أوصى به السلف ﷺ وحثوا عليها، فمن أقوالهم:

قال علي بن أبي طالب: تذاكروا هذا الحديث، فإن لا تفعلوا يدرس [٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/٢٧٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/٦).

(٣) جامع بيان العلم ص١٣٦، حلية الأولياء (٢/١٠١)، السير (٤/٥٥).

(٤) جامع بيان العلم ص١٣٥.

(٥) تدريب الراوي ٢/٥٩٧.

قال ابن مسعود: تذاكروا الحديث، فإن حياته مذاكرته [١].

قال الزهري: إنما يذهب العلم النسيان، وتـــرك المـــذاكرة [٢]. وعمن الحسن نحوه [٣].

قال علقمة: أطيلوا ذكر الحديث لا يدرس [٤].

قال إبراهيم الأصبهاني: كل من حفظ حديثا فلم يذاكر بـــه، تفلت منه [٥].

قال الخليل بن أحمد: ذاكر بعلمك تذكر ما عندك، وتستفد ما ليس عندك [٦].

قال عبد الله بن المعتز: من أكثر مذاكرة العلماء لم يـــنس مـــا علم، واستفاد ما لم يعلم [٧].

أيها الموفق: إذا لم يجد الطالب من يذاكره العلم، فينبغي له أن يحدث به من عنده ولو لم يكن أهلا لذلك.

قال إبراهيم النخعي: من سره أن يحفظ الحديث فليحدث به، ولو أن يحدث به من لا يشتهيه، فإنه إذا فعل ذلك كان كالكتـــاب

(١) تدريب الراوي ٥٩٧/٢.
(٢) حلية الأولياء (٣٦٤/٣).
(٣) جامع بيان العلم ص١٧٤.
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢٣٨/١ و ٢٦٦/٢)، والآداب الشرعية (١١٩/٢).
(٥) الجامع لأخلاق الراوي (٢٣٨/١).
(٦) الجامع لأخلاق الراوي (٢٧٤/٢).
(٧) الجامع لأخلاق الراوي (٢٧٦/٢).

في صدره [١].

وكان الزهري يرجع إلى منزله وقد سمع حديثا كثيرًا فيعيـــده على جارية له من أوله إلى آخره كما سمعه ويقول لها: إنما أردت أن أحفظه [٢].

قال زياد بن سعد: ذهبنا مع الزهري إلى أرضه بالشغب، فكان يجمع الأعاريب فيحدثهم يريد الحفظ [٣].

كان عطاء الخرساني إذا لم يجد أحدا يحدثـــه أتـــى المســـاكين فحدثهم، يريد بذلك الحفظ [٤].

وكان خالد بن يزيد إذا لم يجد أحدا يحدثه يحدث جواريه، ثم يقول: إني لأعلم أنكن لستن بأهل. يريد بذلك الحفظ [٥].

وإسماعيل بن رجاء كان يجمع صبيان الكتاب يحـــدثهم لـــئلا ينسى حديثه [٦].

قال الخطيب: وإذا لم يجد الطالب مـــن يـــذاكره، أدام ذكـــر الحديث مع نفسه، وكرره على قلبه، ثم ذكر بإسناده إلى معاذ بـــن معاذ أنه قال: كنا بباب ابن عون، فخرج علينا شعبة – وقد عقـــد

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٧٨).
(٢) الآداب الشرعية (٢/١١٩).
(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٦٨-٢٦٩).
(٤) جامع بيان العلم ص١٧٩.
(٥) جامع بيان العلم ص١٧٩.
(٦) جامع بيان العلم ص١٧٩.

بيديه جميعًا – فكلمه بعضنا فقال: لا تكلمني فإني قد حفظت عن ابن عون عشرة أحاديث، أخاف أن أنساها [(١)].

قال جعفر المراغي: دخلت مقبرة بتســـتر فســـمعت صـــائحًا يصيح:

والأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، والأعمـــش عـــن أبي صالح عن أبي هريرة ساعة طويلة، فكنت أطلب الصـــوت، إلى أن رأيت ابن زهير وهو يدرس مـــع نفســـه مـــن حفظـــه حـــديث الأعمش[(٢)].

هذا ما يسر الله تعالى جمعه، بفضله ومنه، فله الحمد كله، أولاً وأخرا، ظاهرًا وباطنًا.

تم الفراغ منه صباح الاثنين الثامن من شهر جمادى الآخرة لعام ١٤٢٢هـــ. بالمدينة النبوية.

وكتب

عبد القيوم بن محمد بن ناصر السحيباني

---

(١) الجامع (١/٢٣٨-٢٣٩).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٦٧).

الفهرس

